

تأثير القرآن في الشعر العربي

*ماه رُخ افزا

Abstract

The Holy Quran has given a direction to Arabic language and literature, especially to the Arabic poetry. Pre-Islamic themes of Jehliyya poetry were radically replaced by ideas and concepts generated by the Holy Quran, especially those related to God, man, universe, good and evil, and hereafter etc. The Holy Quran has denounced poets who roam about in every valley of imagination and fancy and are followed by the miss-guided ones, but at the same time it has exempted poets with strong faith in Allah and doing good deeds from this judgment. The Holy Prophet (peace be upon him) has regarded some poetry and rhetoric as the fountain of wisdom and magical impact respectively. Ibn-e-Abbas has considered poetry helpful in explaining any ayia of the Holy Quran, whose explanation becomes problematic; he has regarded poetry as the linguistic archive of the Arabs. Ibn e Salam has regarded poetry as the sum total of knowledge of a nation, which agrees with the linguistic meaning of the Arabic word "الشعر" for poetry, which literally means awareness and consciousness; hence, poetry is the mirror of public consciousness. Islam did not kill the poetic spark amongst the Arabs nor prevented them from going ahead in poetic creation; rather it has encouraged poetic genius, exploited especially to promote the message of Islam.

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين و على آله و أصحابه المنتجبين و بعد:

فهذه دراسة وجيزة ابرار الواقع من أنه لم يمنع القرآن الحكيم والحديث النبوي بما ينطويان عليه من التعاليم العميقة ركب الشعر من التقدم إلى الأمام، بل ذهباً إلى تشجيعه و تحريض الشعراء على القريض فيما يتصل بالذود والدفاع عن الإسلام و شخصية النبي عليه السلام فإن الشعر تم إعتباره خير سلاح جدير باستخدامه في سبيل إنجاز هذه المهمة كما يمكن ملاحظته في إصدار القرآن والنبي عليه السلام حكمهما على الشعر والشعراء و موقفه عليه السلام من بعض الشعراء الكباء أمثال: حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبدالله بن رواحة و كعب بن زهير. ذلك من ناجية - و من ناجية أخرى فإن القرآن أثر تأثيراً عميقاً في الشعر العربي لدرجة أنه وجهه وجهة جديدة.

إن القرآن الحكيم أول كتاب بلسان عربي مبين، و ذلك في مجال النثر العربي الفصيح والبلغ إلا أنه نزل بأسلوب مختلف تماماً عن أساليب الكتابة البشرية، و مع أنه - كما يقول طه حسين في هذا الباب أن القرآن ليس نثراً ولا شعراً، إنما هو القرآن، و لا يجوز تسميته بغير هذا الاسم. و من الواضح أن القرآن ليس شعراً، إذ إنه ليس متقيداً بقيود شعرية كما أنه ليس نثراً لكونه مقيداً بقيود خاصة به، غير متواجدة في غيره - القيود التي يتعلق بعضها بفواصله

من أواخر آياته، و بعدها بذلك التناغم الموسيقي الخاص به.¹

و *ها س نبره لکن سہیکس راولپنڈی

خلاصة القول أنّ القرآن ليس شعراً ولا نثراً، بل هو " الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " ² ولا يمكننا القول بأنه نثرٌ.
القرآن والشعر:

في هذا الشطر من المبحث ما يهمنّا هو تأثير القرآن في الشعر من ناحية الموضوعات والفكر والمفاهيم والنظرة تجاه الكون و مكانة الإنسان فيه و تجاه الحياة بمرحلتينها: الدنيويّة والأخرويّة، لا سيّما فيما يتعلق بالمفاهيم الخاصة بوجود الله ذاتاً و صفات والوحي المنزل من الله، والثبوة والرّسالة، و الوكالات الماوراء الطبيعية (metaphysical agencies) المسئولة عن تدبير أمور الله التكوينية والتنزيلية كالملائكة. و كل ذلك خلق جوّاً ثقافياً يتنفس فيه العلماء والأدباء والشعراء في عهد رسول الله ﷺ و وُجد فيه طبقة من الشعراء، ومنهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، و كعب بن زهير من الطبقة الشعراء المشهورين في عهد النبي عليه السلام.

إنّ القرآن يهتم بالشعر و الشعراء إلى حدّ أنّه سمي فيه إحدى سورته بإسم سورة الشعراء، حيث يقول: " وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " ³

لقد قسم القرآن الحكيم في هذه الآيات المباركة الشعراء إلى طبقتين، إحداهما طبقة الشعراء الهائمين في كل وادٍ من الخيال و التصور، والمُتَّبِعِينَ من قبل الغاوين، والثانية: طبقة الشعراء الذين يؤمنون بآيات الله و يعملون عملاً صالحاً.

إنّ مضمون هذه الآيات عبارة عن نظرة قرآنية نقدية في الشعراء. لقد نقل القرآن الحكيم قول الكافرين من قريش مكة أنّ رسول الله ﷺ هو (العياذ بالله) شاعر مجنون، و ذلك نظراً إلى ما يوجد في الآيات القرآنية من التناغم الموسيقي الخاص. لقد فنّد القرآن الحكيم ظن الكفار من قريش مكة في هذه الآيات (أ): " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ " ⁴ و (ب): " وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ " ⁵

يلتقُ الباقلاني على مضمون هذه الآيات بقوله إنّ ما نقل القرآن الحكيم من قول الكفار أنّ النبي شاعرٌ و إنّ القرآن شعراً لا بُدّ من أن يكون محمولاً على شيئين هما:
 أ- إنّ الذي أتاهم به القرآن هو من قبيل الشعر المتعارف عندهم في شكل أشكال العروض المالوفة المحدودة.

ب- إنّ بعض الضعفاء من الكفار في معرفة أوزان الشعر أصدروا هذا الحكم بأنّ النبي عليه السلام شاعر و أنّ القرآن شعر، فإن ذلك يعود إلى قلة معرفتهم بالأوزان الشعرية، و هذا أبعد الاحتمالات ⁶

ج- إنّ الفلاسفة يطلقون على أهل الحكمة و الفطنة حين وصفهم إياهم إسم الشعراء، و ذلك بموجب نظرتهم الدقيقة في مختلف وجود الكلام و طرق المنطق لهم، و إن كان ذلك خارجاً عمّا يوجد عند العرب من الشعر على الحقيقة ⁷

تعريف الشعر والشاعر عند صديق بن حسن القنوجي:

يقول صديق بن حسن القنوجي في تعريف الشعر والشاعر من هذا القبيل اي عند الفلاسفة و المناطقة (logicians)، بالإشارة إلى كتابي (شرح المطالع) و (حاشية السيد على ايساغوجي)، إنه عبارة عن القياس (analogy) المؤلف من مقدمات (premises). تؤثر في النفس بمعنى القبض والبسط، و يسمونه قياساً شعرياً. مثلاً إذا قيل: الخمر حمراء سيّالة

فبمجرد سماع هذا القول يحصل للنفس إنبساط، وإذا قيل: العسل مرّة كريهة الرائحة يحصل للنفس إنقباض. والغرض منه إمّا ترهيب النفس وإمّا ترغيبها. وما قيل لهذه الإفادة هو قياس مركب من المخيلات (conceptions) التي تسمى قضايا شعرية. ويطلق على صاحب القياس الشعري إسم الشاعر.⁸

أصدار الحكم على الشعراء في القرآن والحديث النبوي:

رغم كل هذه الملاحظات بأنّ القرآن ليس شعراً ولا نثراً وأنّ القرآن الحكيم قد فند ظنّ الكافرين من قريش مكة و تصرّيح القرآن بأنّ الله لم يعلم النبيّ الشعر، وأنّ النبيّ لا ينبغي أن يكون شاعراً فإنه ينطوي على جميع أوزان الشعر المتداولة، هو إستثنى الشعراء المؤمنين والعالمين عملاً صالحاً من إصدار حكمه الصّادر على الشعراء الهائمين في كل وادٍ والذين يتبعهم الغاؤون وإن النبيّ ﷺ أصدر الحكم على الشعر بعدة أقواله منها:
 ا- إنّ من البيان لسحراً.⁹

ب- إنّ من الشعر حكمة.¹⁰

ج- فإذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّه عربي¹¹ وقال ابن عباس: "إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله، فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب".¹²

وقيل إن ابن عباس لم يفسّر أي آية قرآنية إلاّ إستشهد فيها ببيت من الشعر.¹³

و قد اشتهر عمر بن الخطاب بكونه شخصاً كان يكثر من سؤال وفود

القبائل عن شعرائهم، فيستجيبون له بإنشادهم بعض أشعارهم، و قد يردها هو مستحسناً متعجباً. و روي أنه أمر أبي موسى الأشعري واليه على البصرة: "مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بِتَعْلِيمِ الشَّعْرِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَ صَوَابِ الرَّأْيِ وَ مَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ"¹⁴. و يحكي ابن سلام أنه "كان لا يكاد يعرض أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر".¹⁵ وقال: "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه".¹⁶

هنا نلاحظ أن ابن سلام راعى المعنى اللغوي في تعريفه الشعر بعلم قوم، و هو الشعور فإن الشعر هو الشعور الشعبي (public conscientiousness). و يدلّ ذلك على كمية خطيرة من معرفة ابن عباس بالشعر والذوق الشعري عند

عمر.¹⁷

الإسلام والشعر:

إن الإسلام لم يقض على القريحة الشعرية عند العرب و لم يمنعهم عن نظم الشعر و إنشاده.¹⁸ و القرآن لم يقم بمهاجمة الشعر بصفته شعراً، و إنما هاجم شعراً مستخدماً لإيذاء الرسول ﷺ. بل شجّع و اتخذ النبيّ عليه السلام سلاحاً مؤثراً ضد معاندي رسالته، إلى حدّ أنه كان يرى أن "وقع نبلة عليهم أشد من وقع الحسام".¹⁹ و روي عن كعب بن مالك: أن النبيّ عليه السلام قال له: "أهجم، فالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من رشق النبل".²⁰ و قال للأَنْصَارِ: "ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسولَ الله بسلامهم أن ينصروه بألسنتهم؟"²¹

وقال الحسن البصري عندما سئل عمّا إذا كان أصحاب النبيّ عليه السلام يمزحون: "نعم و يتقارضون أي يقولون القريض و ينشدونه. والقريض: الشعر".²² و قد روي أن النبيّ عليه السلام كان يجالسهم في المسجد و يدخل في الحوار معهم و يصغي إليهم مستمعا إلى ما يقومون به من رواية و مذاكرة الشعر و ما يختص بالجاهلية من أمور، فربّما كان يبدد منه عليه السلام إبتساماً،²³ كما روي عن أبي سلمة: "لم يكن أصحاب رسول الله

عليه وسلم متحرّقين و لا متماوتين، كانوا يتناشدون الأشعار، و يذكرون أمر جاهليّتهم، فإذا أريد أحدهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون".²⁴ و كلّ ذلك يذكرنا بمجالس أدبية تتعقد اليوم في أماكن عامة أو في بيوت خاصة، كما يدلّ على موقف النبي عليه السلام و نخبة من صحابته من الشعر، و على أن النبي عليه السلام لم يتخذ سياسة أفلاطون من إخراج الشعراء من جمهوريّة - السياسة التي لم يتبناها تلميذه البعقري أرسطو، بل ذهب إلى أبعد مدى و ألف كتاباً بعنوان الشعرىيات (poetics) في تعريف الشعر و أهميته، لا سيّما فيما يتصل بوظيفته من تطهير العواطف/التنفيس (catharsis) بواسطة الفنّ المتمثل بالمأساة (tragedy).

و هناك فرق بين موقف النبي عليه السلام من الشعر و موقف أرسطو منه أن النبي عليه السلام لم يتخذ الشعر أداة للتسلية، بل سلاحاً كالسيف للدفاع عن القيم السامية (sublime values) و عن حياة الكرامة والشرف.

ذلك من ناحية. و من ناحية أخرى فإن القرآن الحكيم قلب رؤية الشاعر (poetic vision) و أغراض الشعر و أهدافه رأساً على عقب بمعنى جعلها تقوم على فكر (ideas) و مفاهيم (concepts) لجاهليّة - الففزة الفجائية الكبيره (emergent huge leap) التي بعدت بالشعر عن جوه الجاهلي و دخلت به إلى الجوّ الجديد القائم على الرؤية الجديدة التي وجدت خير تمثيل في عبارة أحد سفراء الإسلام عند مواجهته زعيم قوات الروم في عصر ظهور الإسلام، الذي سئل: من بعثكم إلينا أيها العرب؟ فأجاب قائلاً: " بعثنا الله لنخرج عباد الله من عبادة العباد، و لنخرجهم من ظلم الأديان إلى عدل الإحسان، و لنخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة".²⁵

كيف أثر القرآن الحكيم في الشعر بهذا الصفة؟ من المناسب الإجابة عن هذا السؤال بعرض أمثلة نموذجية للشعراء الذين تأثروا بالقرآن الحكيم، و في مقدمتهم:

ا- حسان بن ثابت رضي الله عنه:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي.²⁶ عاش حسان مئة و عشرين سنة نصفها في الجاهلية و نصفها في الإسلام. كان في الجاهلية شاعراً مرموقاً يتردّد قبل الأسلام على بلاط الغساسنة و يرحل إلى الملوك في الشام ينشدهم. و كان لسان قومه فيما دار من الحروب بينهم و بين الأوس في العصر الجاهلي.²⁷

لما هاجر النبي عليه السلام إلى المدينة، التقى به حسان فدخل في الإسلام و انبرى لشعراء قريش القائلين بهجو النبي عليه وسلم و أصحابه بهجائه اللاذع²⁸ - المهمة التي كان النبي عليه وسلم يحرضه عليها و يدعو له بدعائه: "اللهم أيّده بروح القدس"²⁹، حتى إذا سمع بعض هجائه فقال: " لهذا أشدّ عليهم من وقع النبل".³⁰

إن الشعر الذي قرضه حسان في الجاهلية يختلفه تماماً عمّا قرضه من الشعر في الإسلام من ناحية المصطلحات و الفكر و المفاهيم، كما يلاحظ فيما يلي من الأبيات:

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِمٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
فينا الرسول و فينا الحقّ نتبعه حتى الممات و نصر غير محدود³¹
و ما فقد الماضون مثل محمّد و لا مثلُه حتى القيامة يُفقد³²

وفي البيت الثاني من المقطوعة الأولى التي يُعَبِّرُ بها قريشُ بهزيمتها يوم بدر هو يلمح إلى الآية القرآنية: "وَأَعْتَصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا..."³³ ، كما يستخدم لفظة (القيامة) التي من أهم مصطلحات القرآن في سياق ما يليها من البيت.

لقد اعترف شوقي ضيف ببروز المفاهيم الإسلامية في بعض أبياته في هجاء قريش، و في مرثيته لرسول الله ﷺ و في مرثيته البديعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، و إنتهى بقوله: "اتشحت بعض أشعار حسان الإسلامية بأضواء الدين الحنيف و هديه الكريم"³⁴.

اشتهر حسان و كعب و ابن رواحة في المرحلتين من حياتهم: الجاهلية و الإسلامية بحسن قريحتهم الشعرية، و حسان أشعر هؤلاء الثلاثة.³⁵ في جميع القصائد التي قالها حسان في منزل حياته الإسلامي يبرز هنا و هناك المعاني الإسلامية السامية و المصطلحات القرآنية - الظاهرة التي تتميز بكونها عبارة عن تحول جذري (radical change) في حياته الشعرية و تتصادم تماما ما قاله من الشعر في مرحلة حياته الجاهلية، إذ كان مدمنا لشرب الخمر و متعوداً على الاستمتاع بالغناء و ما يصاحبه من لهو و لعب. فغزله في تلك المرحلة "جاهلي" بكل معنى للكلمة، كما يتمثل فيما يلي من أبياته في وصف الخمر العتيق و استحسانه لها:

و لَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ مِنْ حَانَوْتِهَا صِهْبَاءَ صَافِيَةَ كَطْعَمِ الْفَلْفَلِ
يَسْعَى عَلَيَّ بِكَاسِهَا مَتَنْطَفٍ فَيُعَلِّنِي مِنْهَا، وَ لَوْلَمْ أَنْهَلْ
إِنَّ الَّتِي تَأْوَلَنِي فَرَدَدْتَهَا قَتَلْتُ قَتَلْتُ ! فَهَاتِهَا لَمْ تَقْتُلْ³⁶

٢- عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن أمية القيس بن عمرو بن أمية القيس الأكبرين مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي،³⁷ أحد الشعراء المحسنين المتكزسين لرد الأذى عن النبي ﷺ و الدفاع عن رسالته، بينما كانت شاعريته في الجاهلية تُحَلِّقُ في أفق ضيقة معهودة في العصر الجاهلي و في طليعة أغراضها: المفخرة و التحريض على القتال و الهجاء، كما يلاحظ فيما يلي من أبياته:

يَا قَيْسُ أَنْتُمْ شَرَارُ قَوْمِكُمْ قَدَمًا، وَ أَنْتُمْ أَغْثُهُمْ نَسَبًا
نَحْنُ اسْتَبَحْنَا فِي دِيَارِكُمْ يَوْمَ صَبِحْنَاكُمْ بِهَا حَصْبًا
نُحْنُ حُمَاةُ الْأَطَامِ فِي سَالِفِ الدِّ هَرٍ وَ قَدَمًا سَفْنَاكُمْ جَنْبًا³⁸

تحول من الأفق الضيقة لشاعريته الجاهلية إلى أفق واسعة في ظل هدى القرآن و صُحبة رسول الله ﷺ، و من المفخرة الجوفاء إلى المباهاة ببهاء رسالة الإسلام و صاحبها و من الهجاء العنصري النزعة إلى الرثاء النبيل الواسع الأفق و العميق كما ينم عن ذلك ما يلي من أبياته في رثائه لحمزة بن عبد المطلب:

بَكَتْ عَيْنِي وَ حَقَّ لَهَا بُكَاءُهَا وَ مَا يُعْنِي الْبُكَاءُ وَ لَا الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا: أَحْمَزَةُ دَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَيْئِلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَ قَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا فَكُلَّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلٌ

رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ³⁹

ففي هذه الأبيات يُلاحظُ بشكلٍ واضحٍ تحوُّلٌ جذريٌّ في شاعريَّة عبد الله بن رواحة من التعاطف الجاهلي إلى التعاطف الديني الإسلامي النابع عن الأيديولوجيا الإسلامية (Islamic ideology)، إلى جانب ورود المفاهيم القرآنية كـ "سلام الربِّ في الجنان"، و "النعيم الباقي غير الزائل"، و "حُسْنُ الْفِعَالِ وَجَمَالُهُ"، والدعوة إلى "الصبر"، و الإشادة بـ "اصطبار و كرامة رسول الله" و ذكر كونه "ينطق بأمر الله إذ يقول" - كلُّ ذلك صيغ تعبيرية قليلة التغيُّر اللفظي لما ما ورد في القرآن الحكيم من العبارات كما يلي:

- ا- " سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ"⁴⁰
- ب- "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ، خَالِدِينَ فِيهَا..."⁴¹
- ج- "... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ..."⁴²
- "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... تَمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"⁴³
- د- " فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ..."⁴⁴
- " وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ..."⁴⁵
- " إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاصْطَبِرْ"⁴⁶
- ر- " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ"⁴⁷
- س- " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "⁴⁸

و هكذا يسمع رجوع صدى هذه الآيات القرآن في شاعريَّة عبد الله بن رواحة.

٣- كعب بن مالك رضی الله عنه:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي.⁴⁹

كان كعب بن مالك من جملة الشعراء الثلاثة من الصحابة رضوان عليهم أي: حسان بن ثابت، و عبد الله بن رواحة، و كعب بن مالك الذي كان يحدث أن النبي عليه السلام قال: "فوالذي نفسي بيده، لكانما تتضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر"⁵⁰ لقد نقل ابن كثير في تفسيره ما قال محمد بن إسحاق: لما نزلت الآية: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ"⁵¹ قدم حسان بن ثابت، و عبد الله بن رواحة، و كعب بن مالك إلى النبي عليه السلام باكين - قالوا: قد علم الله حين إنزاله هذه الآية أننا شعراء، فتلا رسول الله ﷺ: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..."⁵²، و قال هم أنتم - ثم تلا: و ذكروا الله كثيراً، وقال: هم أنتم. ثم تلا: "...وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا..."⁵³، و قال: هم أنتم يعنى بالردِّ على الكفار والمشركين.⁵⁴ ثم لخص النبي توضيحه بقوله: "إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عِشْرَانُ عَلَى سِوَا اللَّهِ" ⁵⁵ قلما يُعرف عن حياته في الجاهلية قبل إسلامه و عمَّا قرض من الشعر في تلك المرحلة إلا أنَّ حياته في منزله الإسلامي تتميز بتحوُّل جذري مثل حسان بن ثابت و عبد الله بن رواحة، كما يتمثل فيما يلي من أبياته:

- ١- من يتبع قول النبي فإنه
فإننا مطاع الأمر حقَّ مصدق
٢- إن الذين يكذبون محمداً
والقتل في الحق فطرتنا

وَلَوْ قَدَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَّ لِلْحَيَاةِ وَ دَفَعِ الْمَوْتِ تَأْخِيْلُ 57
 إن هذه الأبيات تُمثلُ نموذجاً تسمعُ فيه رجوع صدى بعض العبارات والمفاهيم
 القرآنية مثل "مطاع" الأمر، و "حقٌ مُصدّق"، و "كفروا"، و "ضلّوا"، و "دين الحق" و
 "فطرتنا" كما وردت فيما يلي من الآيات القرآنية:

1. " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ " . 58
 ب - " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
 الْقَيُّمُ " . 59

و أمّا بقية العبارات مثل: الأمر، و "حقٌ" و "مُصدّقٌ"، و "كفروا" و "ضلّوا" فهي
 مفاهيم قرآنية وردت في مختلف السياقات (contexts) من آيات القرآن على نحو مكرّر ما
 ينمُّ عن تأثير القرآن في شاعريته بشكل واضح، و ذلك إلى جانب تواجد التعاطف الديني
 الإسلامي البارز فيها، إذ كان هؤلاء الشعراء يردّون على هجاء قريش إلا أنّ لكل منهم
 معالجة (approach) خاصة في ذلك الردّ. فإن كعب بن مالك - كما يقول ابن سيرين - يذكر
 الحرب و يتهدّد الأعداء من قريش و يقول: "فعلنا و نفعل". و أمّا حسان بن ثابت، فكان يذكر
 أيامهم و يشير إلى عيوبهم و في رواية أخرى إنّه كان يعارضهم بمثل ما ذكروا من الأيّام و
 الوقائع والمآثر و يعيرهم بالمثالب، و أمّا عبد الله بن رواحة فكان يقوم بتعبييرهم على الكفر و
 نسبتهم إليه علماً بأنّه ليس فيهم ما هو أسوأ من الكفر. 60

٤- كعب بن زهير:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المُزني، من فحول شعراء الجاهلية. و إن
 الطريقة التي تبنّاها في تخريج تلامذته من أسرته، حسبما يرسمها لنا الرواة عبارة عن قيامه
 بتحفيظهم شعره و شعر غيره من شعراء الجاهلية إلى أن تنمو موهبتهم الشعرية، و كان
 يخرج به ابنه كعب إلى الصحراء، فيلقي عليه بيتاً أو شطراً منه، 61 و يلتبس منه الإجازة له
 من أجل التمرّن والتدرّب على أن يحصل له ملكة صوغ الشعر و نظمه. و اشتهر كعب
 بالقريحة الشعرية أكثر مما اشتهر الشاعر المعاصر له: الحطيئة. 62

و ما زال كعب و تنيّاً (idol worshiper) حتى يوم فتح مكة وانصراف النبي
 ﷺ من الطائف. و دعاه أخوه بُجَيْر إلى الإقبال على رسول الله ﷺ تائباً. و حان له أن
 يشرح بالإسلام صدره، فذهب أولاً إلى أبي بكر في المدينة، فأوقع نفسه موقعاً حسناً من
 نفسه، فأتى به رسول الله ﷺ الذي كان مشغولاً بصلاة الصبح، و هو مثلّم بعمامته، فقال
 ابوبكر لرسول الله ﷺ لِمَا فرغ من الصلّاة: يا رسول الله! هذا الرجل أتى لبيّاعك على
 الإسلام، فمَدَّ رسول الله ﷺ يده، فأماط كعب اللثام عن وجهه، و قال: " هذا مقام العائذ بك
 يا رسول الله! أنا كعب بن زهير". فأحبّ المهاجرون أن يُسلم و يعطيه رسول الله ﷺ
 الأمان، فاستجاب رسول الله ﷺ لهم و أعطاه الأمان.

إن شاعريّة كعب بن زهير تنمُّ عن كونه ممّن أكثر الشعراء تأثراً بشخصية النبي و
 القرآن و الإسلام، كما يتّضح من قصيدته المشهورة التي توسّل بها عند النبي ﷺ، 63 و قال
 فيها:

بَأَنْتَ سَعَادٌ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولٌ
 تُبْنِتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَبْدُولٌ

مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ، فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ
 إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَ صَارَمَ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوقٌ⁶⁴
 وَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا ظَلَّ يَكْرَهُ الْإِسْلَامَ وَ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ بُجَيْرٍ لِإِسْلَامِهِ وَ نَهَاهُ إِلَى أَنْ قَامَ
 بِهَجَائِهِ وَ هَجَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ بِمَا يَلِي مِنْ آيَاتِهِ:

أَلَا أَبْلُغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَهُ فَهِيَ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَ يَحْكُ هَلْ لَكَ؟
 شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَكَ الْمَأْمُونِ مِنْهَا وَعَلَا
 وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَتَبِعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيَبَّ غَيْرِكَ ذَلِكَ
 عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمَّاً وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَكَمْ تَدْرِكُ عَلَيْهِ أَحَاً لَكَ⁶⁵
 فَاهْدِرِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ دَمَهُ وَ حَرَّضَ النَّاسَ عَلَى قَتْلِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ كَعْبَ نَفْسَهُ بِلَا
 مُجْبِرٍ وَ نَصِيرٍ، تَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَيْثُ تَوَسَّلَ بِأَبِي بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَ أَعْلَنَ
 إِسْلَامَهُ قَامَ بِمَدْحِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِلَامِيَّتِهِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي تَأْتُرُ لِسْمَاعِيهَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَفَحَ
 عَنْهُ وَ أَمَّنَهُ وَ كَسَاهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَتَهُ - الظَّاهِرَةُ الَّتِي تَنَمَّ عَنْ كَوْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْتِحْسَنِ مِنْ
 الشُّعْرَاءِ الشُّعْرَ الْحَسَنِ وَ يَشْجَعُهُمْ عَلَى الْإِشَارَةِ بِذِكْرِ مَنْ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ ذِكْرَهُ وَ عَلَى التَّحْدِيثِ
 بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَعْطَاةِ فِي شَخْصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.⁶⁶

نتيجة البحث:

من المغالطات الشائعة الذائعة حول الإسلام أنه عرقل مسيرة الركب الشعري إلى حدّ كونه قد وقفه و لم يسمح له بالتقدم إلى الأمام، و أن القرآن الحكيم إعتبر الشعراء تانهين في كل واد يتبعهم الغاؤون - المغالطة التي لم تنبني على عدم اعتبار الإستثناء في قول الله تعالى و اهمال الواقع من النبي عليه قد اصدر الحكم على الشعر و الشعراء حكما ايجابيا، كما شجع الشعراء على القريض ذورا و دفاعا عن الإسلام و عن كرامة النبي عليه السلام، فمن ثم تواجد كمية ملحوظة من الشعراء والشاعرات تقوم بهذه المهمة و قرض الشعر و إنشاده. و آخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من بُعث مُعلماً ليتّم مكارم الأخلاق.

والهوامش:

- ¹ من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي): طه حسين، ج: ٢، ص: ٤٢٤، الطبعة الرابعة ١٩٨١م، دارالعلم للملّامين، بيروت.
- ² القرآن: س: هود، آية: ١.
- ³ القرآن: س: الشعراء، آية: ٢٢.
- ⁴ القرآن: س: يس، آية: ٦٩.
- ⁵ القرآن: س: الحاقة، آية: ٤١.
- ⁶ اعجاز القرآن، القاضي أبي بكر الباقلي، ص: ٦٩، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عالم الكتب، بيروت.
- ⁷ نفس المرجع، ص: ٧٠.
- ⁸ ابجد العلوم المسمى بالوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن حسن القنوجي، ج: ٢، ص: ٣٤٤، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٨٨٣م، المكتبة القدسية، لاهور، باكستان.

- ⁹ صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، باب الخطبة، حديث برقم: ٥١٤٦، ص: ٩٢٠، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مكتبة دار السلام، الرياض -
- ¹⁰ نفس المرجع، باب ما يجوز من الشعر والرّجز والحداء وما يكره منه، حديث برقم: ٦١٤٥، ص: ١٠٧١ - أنظر:
- سنن ابن ماجه، أبو محمد عبد الله محمد بن يزيد الرّبعيّ ابن ماجه القزويني، باب: الشعر، حديث برقم: ٣٧٥٥،
- ص: ٥٣٧، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار السلام، الرياض. أنظر: جامع الترمذي، الإمام ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، باب: ما جاء أن من الشعر حكمة، حديث برقم: ٢٨٤٤، ص: ٦٣٩، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار السلام - الرياض.
- ¹¹ مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ج، ١، ص: ٣١٧، الطبعة الثانية ١٩٥٠م، دار المعارف، مصر.
- ¹² المزهري في علوم اللغة وانواعها، العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ج: ٢، ص: ٤٧٠، الطبعة الثالثة بدون رقم تاريخها، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- ¹³ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، ج: ٩، ص: ٦٦، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، دار العلم للملليين، بيروت.
- ¹⁴ العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ج: ١، ص: ١٠، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م، مطبعة امين هندية، مصر.
- ¹⁵ البيان والتبيين: الجاحظ، ج: ١، ص: ٢٤١، بدون رقم الطبعة و تاريخها، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
- ¹⁶ المرجع السابق، ج: ١، ص: ٢٨.
- ¹⁷ تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الدكتور شوقي ضيف، ج: ٢، ص: ٤٥، الطبعة السابعة، بدون تاريخ، دار المعارف بمصر - القاهرة.
- ¹⁸ نفس المرجع، ج: ٢، ص: ٤٥
- ¹⁹ العمدة، ج: ١، ص: ١٢.
- ²⁰ التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج: ٢٣، ص: ١٧٦، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربية، بيروت.
- ²¹ طبقات ابن سعد، الأمام ابن سعد، ج: ١، ص: ٥٧، بدون رقم الطبعة و تاريخها، بيروت.
- ²² المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج: ٩، ص: ٦٧.
- ²³ المرجع السابق، ج: ١، ص: ٩٥.
- ²⁴ المرجع السابق، ج: ٩، ص: ٦٧.
- ²⁵ فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي، ج: ٢، ص: ١٩، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ²⁶ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ج: ١، ص: ١٢٥، بدون رقم الطبعة و تاريخها، مكتبة نهضة، مصر.
- ²⁷ كتاب الأغاني: ابو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، ج: ٣، ص: ٢٥٤، الطبعة الثانية ١٩٩٧م، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ²⁸ تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ص: ٧٧.
- ²⁹ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: هجاء المشركين، حديث برقم: ٦١٥٢، ص: ١٠٧٢-١٠٧٣.
- ³⁰ المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، ج: ٣، ص: ٣٠٩، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، دار المعارف، مصر.
- ³¹ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا و زملاؤه، ج: ٣، ص: ٢١، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار احياء التراث العربي، بيروت.

32. نفس المرجع، ج: ٤، ص: ٣١٩.
33. القرآن، س: آل عمران، آية: ١٠٣.
34. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ج: ٢، ص: ٨٣.
35. كتاب الأغاني، ج: ٣، ص: ٣٥٣.
36. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٢٣٧، بدون رقم الطبعة و تاريخها، المطبع البوليسية، بيروت.
37. الإستيعاب في معرفة الإصحاب، ج: ١، ص: ١٢٧. انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد منيع الزهري، ج: ٣، ص: ٢٧١، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
38. كاروان أدب المجلة ربع سنوية الأدب الإسلامي (باللغة الأردنية)، شماره رقم: ٢، ص: ٣٤، بدون رقم الطبعة و تاريخها، رابطة أدب الإسلامي العالمي، لکنهو، الهند.
39. السيرة النبوية لأبن هشام، ص: ١٧١.
40. القرآن، س: يس، آية: ٥٨.
41. القرآن، س: لقمان، آية: ٩-٨.
42. القرآن، س: البقرة، آية: ٨٣.
43. القرآن، س: المائدة، آية: ٩٣.
44. القرآن، س: طه، آية: ١٣٠.
45. القرآن، س: طه، آية: ١٣٢.
46. القرآن، س: القمر، آية: ٢٧.
47. القرآن، س: التكويز، آية: ١٩.
48. القرآن، س: النجم، آية: ٤-٣.
49. الإستيعاب في معرفة الإصحاب، ج: ١، ص: ٢١٦.
50. الأغاني، ج: ١٥، ص: ٤١٦.
51. القرآن، س: الشعراء، آية: ٢٢٤.
52. القرآن، س: الشعراء، آية: ٢٢٧.
53. القرآن، س: الشعراء، آية: ٢٢٧.
54. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سيد محمد السيد و زملاؤه، ج: ٦، ص: ١٨٨-١٨٩، بدون رقم الطبعة، ٢٠٠٢م، دار الحديث، القاهرة.
55. المسند أحمد، ج: ٦، ص: ٣٨٣.
56. السيرة النبوية لأبن هشام، ج: ٣، ص: ٢٧٥.
57. نفس المرجع، ج: ٣، ص: ١٥٦-١٥٥.
58. القرآن، س: التكويز، آية: ١٩-٢١.
59. القرآن، س: الروم، آية: ٣٠.
60. الأغاني، ج: ٤، ص: ٣٢٣.
61. نفس المرجع، ج: ١٥، ص: ١٤١.
62. نفس المرجع، ج: ٢، ص: ١٦٥.
63. نفس المرجع، ج: ١، ص: ١٠٤.
64. ديوان كعب بن زهير، ص: ٦، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الكتب، مصر.
65. نفس المرجع، ص: ٣.
66. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ج: ١، ص: ١٠٤، بدون رقم الطبعة ١٩٦٤، دار الثقافة، بيروت.

فهرس المصادر والمراجع:

1. القرآن
2. اجدد العلوم المسمى بالوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم : صديق بن حسن القنوجى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٨٨٣م، المكتبة القُدوسية، لاهور، باكستان.
3. الإستيعاب في معرفة الإصحاب: ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، بدون رقم الطبعة و تاريخها، مكتبة نهضة ، مصر.
4. اعجاز القرآن، القاضي أبي بكر الباقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عالم الكتب، بيروت.
5. البيان والتبيين: الجاحظ، بدون رقم الطبعة و تاريخها، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
6. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، بدون رقم الطبعة و تاريخها، المطبع البوليسية، بيروت.
7. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السابعة بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار المعارف بمصر- القاهرة.
8. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سيد محمد السيد و زملاؤه، بدون رقم الطبعة ٢٠٠٢م، دار الحديث، القاهرة.
9. التفسير الكبير، الفخر الرازى، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربية، بيروت.
10. جامع الترمذي، الإمام ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار السلام الرياض.
11. ديوان كعب بن زهير: بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الكتب، مصر.
12. سنن ابن ماجه، أبو محمد عبد الله محمد بن يزيد الربيعي ابن ماجه القزويني، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار السلام، الرياض
13. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا و زملاؤه، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
14. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، بدون رقم الطبعة ١٩٦٤، دار الثقافة، بيروت.
15. صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مكتبة دار السلام، الرياض -
16. طبقات ابن سعد، الأمام ابن سعد، بدون رقم الطبعة و تاريخها، بيروت.
17. العمدة في صناعة الشعر و نقده: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م، مطبعة امين هندية، مصر.
18. فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي، بدون رقم الطبعة و تاريخها، دار الكتب المصرية، القاهرة.
19. كاروان أدب المجلة ربع سنوية الأدب الإسلامي (باللغة الأردنية)، بدون رقم الطبعة و تاريخها، رابطة أدب الإسلامي العالمي، لكنهو، الهند.
20. كتاب الأغاني: ابو الفرج الأصفهاني على بن الحسين، الطبعة الثانية ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
21. مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، الطبعة الثانية ١٩٥٠م، دار المعارف، مصر.
22. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الطبعة الثالثة بدون رقم تاريخها، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
23. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، دار المعارف، مصر.
24. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، دار العلم للملبيين، بيروت.
25. من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي): طه حسين، الطبعة الرابعة ١٩٨١م، دار العلم للملبيين، بيروت.